

بحار الأنوار

[141] فكل العالم تصنيف الـ تعالى فمن نظر إليها من حيث إنها فعل الـ، وعرفها من حيث إنها فعل الـ، وأحبها من حيث إنها فعل الـ، لم يكن ناظرا إلا في الـ ولا عارفا إلا بالـ، ولا محبا إلا الـ، وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الـ، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث هو عبد الـ، فهذا هو الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد، وإنه فني في نفسه، وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا، ففنيانا عنا، فبقينا بلا نحن. فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر، أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء عن إيضاحها وبيانها، بعبارة مفهومة موصلة للغرض إلى الأفهام، ولاشتغالهم بأنفسهم، واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يغنيهم. فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الـ تعالى، وانضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الـ، إنما يدركها الإنسان في الصبى عند فقد العقل قليلا قليلا، وهو مستغرق الهم بشهواته، وقد أنس بمدركاته ومحسوساته إلفها، فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا، أو فعلا من أفعال الـ خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً فقال: " سبحان الـ " وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة، وكلها شواهد قاطعة، ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها. ولو فرض أكمه بلغ عاقلا، ثم انقشعت الغشاوة عن عينه، فامتد بصره إلى السماء والأرض، والأشجار والنبات، والحيوان، دفعة واحدة على سبيل الفجأة. يخاف على عقله أن ينبهر، لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها. وهذا وأمثاله من الأسباب، مع الانهماك في الشهوات، وهي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة، والسباحة في بحارها الواسعة والجليات إذا صارت مطلوبة، صارت معتاصة (1)، فهذا سد الأمر، فليتحقق ولذلك قيل:

(1) اعتاص عليه الأمر: أي التوى، منه رحمه